صور من الحياة :

رجل ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا رجل ! لست رجلاً إلا أن تعتز بالشرف والكرامة وإلا أن تفخر بالشهامة والإباء، وإلا أن تتشبث بالرجولة والعفة ، لا يغنيك عنها أن تبدو أنيق اللباس نضير الإهاب بهيّ الطلعة .

***

عرفتك يا صاحبي - أول مرة - وفي مقبل العمر وزهرة الشباب تتأنق في لباسك وتتألق في زينتك حسن الهيئة والشارة يتضوع العطر من جوانبك وتفوح رائحة الأنوثة من أعطافك ، فأنت متكسر الرجولة لين العود فاتر الهمة ، وعجبت — أول ما عجبت — أن أراك في زي ذوي الثراء والغنى وأنت موظف حكومة لم يبلغ راتبك إلا تسعة جنيهات ، وأن تبذل في بذخ وإسراف وأنت لا تملك شيئاً غير راتبك ، وإن الموظف — وإن علت درجته — ليعاني الجدب والإمحال من شدة الغلاء ويقاسي الضيق والعنت من قلة الدخل ، فهو يأكل التافه بقدر ويلبس الخلق البالي ، ويحمل نفسه على شظف العيش ويصبر على بؤس الحياة . وراعني أن أرى زملاءك في المكتب يقابلونك في ابتسامة ساخرة وأفزعني أن أجد آرائك في الديوان يتهامسون فتطوف همساتهم حولك بسوء ، فجلست إلى زميل لك استكشف خبرك واستجلي قصتك ، فقال :

هو فتى — كما ترى — راعى الرجولة صغرت نفسه من الشهامة ، يتهاوى ضعفاً وأنوثة ، فهو بيننا أحدوثة قذرة تعجها الألسن وتعافها الأنفس ، وهو يحس منا فنوناً من الازدراء ويلمس ألواناً من الاحتقار ، ولكنه لا يرعوي ولا يرتدع كأنما استمرأ حياة القلة والضعة حين جعل المال منتهى غايته .

قلت : وماذا يضير المرء إن جعل المال بعض همه لينفق منه إلى متعة نفسه وسعادة قلبه وهدوء باله ..

قال : ولكنه يتخذ إلى المال سبيلاً معوجاً يتناقض مع الكرامة والشرف ... أما قصة الفتى فهي :

مشت أنا وهو حيناً من الزمان زميلين يربطنا عنت العمل وقسوة الرئيس وتضمنا أواصر الأخوة ونزوات الشباب ، فكنت أقضي إلى جانبه ساعات الفراغ نتشدق نعماً أريج الحياة وهي تتفتح لنا رويداً رويداً ، ونتسم للصبا وهو يرف علينا رفيقاً حلواً ، ونستمتع بالعافية وهي تنثر علينا جناحاً رفيقاً ، ونسعد بالهدوء وهو غاية قصدنا . لا يهرنا زيف المدينة وهو فوق طاقتنا ، ولا يسحرنا بهرج الحياة وإنا لنحس ضيق ذات اليد ، ولا تندفع إلى شهوة وإنا لنشعر بالحياء والخجل . وغيرنا زماناً تجد اللذة والسعادة في حياة الهدوء والاستقامة . ثم جاءت الحرب فصفعت الموظف صفعة قوية طار لها لبه وزلزلت كيانه وشغلته شغلة الحياة عن نفسه وإني لأخوة صغاراً أحمل تقاهم فما كاد أنوء به في الرخاء فما بالي وقد ضرب الغلاء وهن كتفي القاعة ، فمشت دهراً لا ألقى صديقي إلا في الديوان ولا أجلس إليه إلا في المكتب ، وصمت هو فلا يحدثني بأمر ولا يكشف لي عن حادثة . ثم جاء ذات صباح ثائراً ضيق النفس مضطرب الخاطر . وأرادني على أن أجلس إليه في خلوة ليقص لي قصة أخته ، وهي فتاة في العشرين من سني

أولئك الفدائيين الذين ظهروا في كثير من جهات آسيا الصغرى وقدموا حياتهم بشجاعة خارقة للعادة فداء للوطن التركي .

فمن المسئول إذن عن أول طلقة وجهت من ناحية الكنات ؟

أكد لي بعض المكلفين باستقاء الأخبار أن مطلقها أحد المهيجين اليونان بقصد إثارة الفتنة والمذابح . فإذا كان هذا صحيحاً فمن المؤكد أن حكومة « أثينا » بعيدة عن إرسال أوامر بمثل هذه الأعمال التي تصدر غالباً — وفي كل البلاد بدون استثناء — من عمل بعض الرجال العسكريين المتحمسين للدخول معركة لا يكلفهم الانتصار فيها شيء .

وقد كان احتلال أزمير وخيم العواقب لأن الأمل الضعيف الذي كان باقياً في توطيد الحالة وإيجاد حل يقبله الطرفان قد انتهى بارتكاب هذا الخطأ — والأخطاء في عالم السياسة كالذنوب التي الأفراد تأتي تباعاً وتجر بعضها بعضاً .

(يتبع) أحمد رمزي

حياتها تغزى شباباً وتثوب جمالاً ، وإن دلالها ليعصف بالقلب ويخلب الفؤاد ، وإنها لتتأرج بهاء وإشراقاً ، تشع من عينيها معانى الأنوثة والجاذبية وتنفث ابتساماتهما فى القلب هزات الكهرباء ...

آه ، يا صاحبي ، لقد كنت أحنى نظراتها الخلابة وأغض عن بسماتها الخاسفة وأغمض عن أنوثتها المنيفة خيفة أن يفرط فؤادى أو أن ينقد قلبي على حين أن نفسى كانت تنازعنى إليها ، ولكنى لا أستطيع أن أنهض على عيني أخيها خلجات قلبي ، فما كان لى أن أصبح زوجاً وبين يدى أخوة أخاف أن يستشعروا — بفقدى — اليتم والضياع . فكنت أنصرف من لدن زميلى وقد شام الأسى فى أوصالى وأفعمنى الحزن وسيطر على الضجر ، ولكن لا سبيل ... وعاشت الفتاة إلى جانب أخيها الموظف عيش الكفاف والشرف ، ثم أقبلت الحرب والغلاء معاً فأحست بأنوثتها وهى تتكامل رويداً رويداً ولكن الضيق يوشك أن يعصف بها ، وشمرت بجمالها الوضاء يشرق حيناً بعد حين غير أن الفاقة تحاول أن تسلبه منها ، وعز عليها أن تتفيأ فيها شعلة الشباب والدلال من أثر الحاجة والفقر فراحت تتوسل إلى غايتها بأساليب شيطانية منحطة ، فتسرقت على فتى ثرى من أبناء الذوات . وأبناء الذوات فئة من الناس أتلفهم الثراء وأبلاهم التعطل فغدوا زبداً لا ينفع الناس وعاشوا عيالاً على الجماعة ، لا يقيمون وزناً لمقاييس الأخلاق السامية من خور التربية ، ولا يتمسكون بالشرف من انفراط عقد الأسرة ، ولا يؤمنون بالعفة من أثر الاستهتار والتبذل ، وهم داء الأمة العضال وعظامها النخرة .

وتراءى إلى زميلى أن أخته قد حادت عن الطريق المستقيم وأوشكت أن تزتدع فى هاوية سالما من قرار فأخذ يتأثر خطاها ويضيق عليها السبل .

ولكن الفتاة كانت ذات مكر ودهاء فسلكت إلى قلب أخيها مسالك براقة خلابة فتسرته بالطيب من الطعام والنفيس من الثياب ، وحببته بسبل من الهدايا ما ينضب معينه ، فهو فى ما اشتد من قوته واعتلت عقدة عزيمته فأغضى عن زلاتها وأرخى لها العنان ، فاندفعت الطائشة لا تلوى على شىء ، وعاش هو لا يهمه إلا أن يبدو فى زى ذوى الثراء والغنى ، لا يشغله إلا أن يبذل فى بذخ وإسراف ...

ثم تاقت نفس صاحبنا إلى أن يكون زوجاً وربَّ أسرة فجلس إلى أخته يكشف لها عن ذات نفسه فما صرفته عن رأيه ولا ردته عن غايته ، ثم راحت تمهد له السبيل من عالمها وهى تذكره — فى لباقة — بأنه موظف حكومة يجب ألا ينسى أن راتبه لم يبلغ بعد إلا تسعة جنيهات .

وانطوت الأيام فإذا الفتى زوج لفتاة جميلة آيسره وغم أنها من أسرة رقيقة الحال تقنع بالكفاف وتجزىء بالضئيل لا ترنو إلى المال ولا تطمع فى الترف . ولقد راع الزوجة أن ترى بيت زوجها يموج بالطنافس والصور ويفيض بالأثاث والزخرف ، ولكنها عاشت إلى جانب زوجها سعيدة تنظر إلى ما حولها ولا تتكلم وترى ولا تتحدث وخشيت أن تكون ضحية حماقتها إن هى نزلت بكلمات تؤذى زوجها أو تنال من كرامة أخته ، وخُيل إليها أن زوجها فى عمى عن نزوات أخته فانضمت على أذى فى نفسها ووقفت على جيد الطريق فى صمت وضيق ، ومرت أيام وأيام .

وأرادت الفتاة أن توسوس لزوج أخيها بأمر لتجتذبها من ٣
وحدتها فجلست إليها تحدثها قائلة : « أرأيت ما أفعل ؟ » قالت الزوجة « وماذا تفعلين ، يا أختى ؟ » قالت « أرأيت الشاب الذى يطوف بسيارته حول دارنا فلا يقر له قرار إلا أن أرافقه فأملأ فراغ وقته وفراغ قلبه فى وقت معاً » فقالت الزوجة « ما رأيت شيئاً » فقالت الفتاة فى إصرار وصراحة « لا تنكرى ، لقد صمت ورأيت ، ولا عليك فنحن الآن فى خلوة لا يسمعنا أحد ولا يرى » فأجابت الزوجة « نعم ، لقد رأيت وصمت ، ولكن مالى أنا ولذلك الشاب » قالت الفتاة « إن له لأخاً فى مثل شبابه وروعته وثرائه ، وهو يطمع فى أن تكونى شغل فراغه وشغل قلبه » فأجابت الزوجة فى ذعر « أنا ؟ لا ، لن أكون شيئاً من ذلك ! فقالت » الفتاة « لا بد أن تكونى ، لملك من الحق والنباء بحيث تطمعين فى أن أبذل من نفسى لأوفر لك السعادة والهناء ! » فأجابت الزوجة فى غيظ « إنى أجد السعادة إلى جانب زوجى فأقنع بإخلاصه وأقنع براتبه الضئيل » وثارت الفتاة فى وجه الزوجة قائلة « إذن لا معدى لك عن أحد أمرين : إما أن تكونى كما أريد وإما أن تبرحى هذه الدار حالاً » فصاحت الزوجة « وزوجى ... وزوجى ... »